مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيــــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

من وجوه الحكمة في ترتيل القرآن الكريم

"وفقا لمعانيه المعتبرة، والحاجة المعاصرة"(*)

د/ عبد الكريم شرف محمد عبده
الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن جامعة تعز

*) تاريخ تسليم البحث 15/2/2022 تاريخ قبوله للنشر 9/3/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

من وجوه الحكمة في ترتيل القرآن الكريم

"وفقا لمعانيه المعتبرة، والحاجة المعاصرة"

د/ عبد الكريم شرف محمد عبده
الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن جامعة تعز

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى استقراء بعض وجوه الحِكَم المرتبطة بترتيل القرآن، وفق معانيه المعتبرة عند المفسرين، وسبل تفعيلها في الحياة المعاصرة، وقد سلكت فيه المنهج الاستقرائي والاستنباطي للتدليل على اختلاف معاني الترتيل وحِكَمه، وفق ورودها في السياقات القرآنية، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أن لترتيل القرآن بمعنى تفريق النزول "التنجيم" حِكَم منها، تثبيت فؤاد النبي ﷺ بتلقينه الحجة وتقوية يقينه، وتسليته وإيناسه ﷺ، ونهيه عن الحزن، كما أن ذلك من مقتضيات النسخ، والرد على الشبهات، والتدرج في التشريع، واختلاف نوع وزمن الحوادث، إضافة إلى تقوية قلبه ﷺ على حفظ القرآن وفهمه، ويستتبع ذلك تثبيت المؤمنين، ببيان وتبيين معانيه، وإدراكهم لبعض وجوه إعجازه، وتأثرهم بتلاوة آياته، بما يملأ قلوبهم باليقين والتطمين، وتحقق وعد الله لهم بالنصر والتمكين، متجاوزا بذلك التثبيت إلى العصور الحاضرة، في تقوية المؤمنين على مواجهة أنواع الشبهات، والتحديات، والمكائد والمكر في حياتهم المعاصرة، وذلك بقدر فهمهم لمعانيه، وارتباطهم بتلاوة آياته، وتدبره والعمل به.

الكلمات المفتاحية: وجوه، الحكمة، التنجيم، التتابع، التبيين، المعاصرة.

Some Aspects of Wisdom in Reciting the Noble Qur'an within its Regarded Meanings, and Contemporary Needs

Dr. Abdulkareem Sharaf Mohammed Abdu
Associate professor of Quran Sciences and Explanation at Taiz University
Dean of the Faculty of Education, Sciences, and Arts at Al-Turban Branch of Taiz University

Abstract

This research aims to extrapolate some aspects of wisdom related to the recitation of the Qur'an, according to its considered meanings among the commentators, and the ways to activate them in contemporary life. The recitation of the Qur'an in the sense of separating the revelation of "astrology" is a ruling from it, to strengthen the heart of the Prophet (by teaching him the argument and strengthening his certainty, and his amusement and comfort), and forbidding sadness. This is also from the requirements of abrogation, refutation of doubts, gradualness in legislation, the difference in the type and time of events, in addition to strengthening his heart (for memorizing and understanding the Qur'an, and this entails confirming the believers, by clarifying and clarifying its meanings, and their awareness of some aspects of its miraculousness, and their influence by reciting its verses, with what fills Their hearts are filled with certainty and reassurance, and God's promise to them with victory and empowerment has been fulfilled, bypassing by that confirmation to the present eras, in strengthening the believers to face all kinds of doubts, challenges, plots and cunning in their contemporary life, as much as they understand its meanings, and their connection with reciting its verses, and contemplating it and acting upon it.

Keywords: faces, wisdom, astrology, succession, clarification, contemporary.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد ورد ترتيل القرآن الكريم بمعان، لكل معنى منها فوائد معتبره، تتناسب مع سياقات ورودها، ولما تباينت تلك المعاني للترتيل، كان لابد من جمعها، ودراسة أقوال المفسرين فيها، وجمعها، واستقراء أدلتها، واستنباط عبرها وحكمها، بناء على كل معنى من معانيها المعتبرة، بما يعود على المؤمنين في شتى العصور بالانتفاع ببلسمها، واستلهام سبل تفعيلها في الحياة المعاصرة.

هدف البحث: يهدف هذا البحث بمجمله إلى الآتي:

١- بيان معاني الترتيل وفقا لسياقاتها الواردة فيها في القرآن الكريم.

٢- بيان بعض وجوه الحكمة المبنية على كل معنى معتبر من معاني الترتيل عند علماء التفسير، وجمع متفرقها، واستقراء أدلتها.

٣- بيان حظ المسلم في الحياة المعاصرة من حكم الترتيل، بما تمليه الحاجة المعاصرة.

مشكلة البحث: تثيرها الأسئلة التالية:

وردت كلمة الترتيل مضافة للقرآن الكريم، تارة بالتفريق الزمني، وأخرى بالتبين، ومنه التوالي والتتابع.. فما سر هذا التباين في المعنى؟ وماهي وجوه الحكمة المترتبة على هذا التباين وفقا للمعاني المعتبرة عند المفسرين؟ ولماذا اقتصر بعض المفسرين على ذكر حكم الترتيل بمعنى التنجيم؟ وماهي الفوائد الظاهرة المبنية على الترتيل بمعنى التبيين، ومنه التوالي للآيات وتتابعها..؟ وكيف يمكن للمسلم المعاصر الاستفادة وفق حاجته المعاصرة من وجوه الحكمة في الترتيل بمعانيه المعتبرة؟.

الدراسات السابقة: هناك جزء من هذا البحث، وهو الترتيل بمعنى التنجيم، تناوله علماء القرآن، في ثنايا كتاباتهم عن علوم القرآن، وتناولها علماء التفسير عند تفسيرهم لمعنى الترتيل في مواضع متفرقة، مع عدم تمييز بعضهم لوجوه الحكمة من كل معنى من معاني الترتيل، كما أن الكثير منهم لم يتعرضوا لسبل أو وسائل تفعيل وجوه هذه الحكم في الواقع المعاصر؛ الأمر الذي دعاني لجمع ما تفرق من وجوه الحكمة في الترتيل بمعانيه المعتبرة عند المفسرين، وعلماء القرآن، مع تضمين ما تيسر فهمه من سبل الاستفادة في الحياة المعاصرة من هذه الوجوه في حكم وفوائد الترتيل، بما يتناسب مع قدر وزمن هذا البحث، وحسبي أني أثرت موضوع تفعيل وجوه متعددة من حكمة ترتيل التنزيل للقرآن، ومن وجوه حكمة التلاوة بتبيين وتمكث وتمهل، وتوال وتتابع، بما ينعكس على حياة المسلم المعاصر، حتى لا تنقطع صلتنا بالقرآن، وهو جديد هذا البحث.

وقد جعلت هذا البحث في مقدمة ومبحثين ضمنتها خمسة مطالب وهي:

المبحث الأول: التعريف بوجوه الحكمة، وبالترتيل واستعمالاته في القرآن الكريم.

المطلب الأول: التعريف بوجوه الحكمة، وعلاقتها بترتيل القرآن.

المطلب الثاني: التعريف بالترتيل واستعمالاته في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: من وجوه الحكمة في الترتيل وفق معانيه المعتبرة، والحاجة المعاصرة.

المطلب الأول: من وجوه الحكمة في الترتيل "بمعنى التفريق أو "التنجيم"

المطلب الثاني: من وجوه الحكمة في الترتيل بمعنى التبيين بالتمهل والتمكث.

المطلب الثالث: من وجوه الحكمة في الترتيل بمعنى التوالي والتتابع.

خاتمة: ضمنتها أهم النتائج والتوصيات، سائلا من الله القبول والتوفيق والسداد في القول والعمل.

.....

.....

المبحث الأول: التعريف بوجوه الحكمة، وبالترتيل واستعمالاته في القرآن الكريم.

المطلب الأول: التعريف بوجوه الحكمة، وعلاقتها بترتيل القرآن.

الوجوه: جمع وجه، وتطلق على المعاني المحتملة، ومن ذلك قول أبي الدرداءﷺ (لا تفقه حتى تجعل للقرآن وجوها) ووجه النهار أوله، ومنه قوله تعالى {وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ} [آل عمران: ٧٢] ووجه النجم ما بدا لك منه، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به، ووجه القوم الطريق إذا سلكوه فاستبان(١).

وفي الاصطلاح يستعمل الوجه: مستقبل كلّ شيء، وفي أشرفه ومبدئه(٢) ويستعار للمذهب والطريق(٣)

وأما الحكمة : تأتي من حَكَمَ، وأحكم: ومَرْجِعُها إلى العَدْل والعِلْم والحِلْم(٤)وتطلق على ما منع من الجهل(٥) وعلى كُلُّ كَلَامٍ وَافَقَ الْحَقَّ(٦) وعلى وضع الشَّيْءِ فِي مَوْضِعه(٧) كما تطلق على "النبوة والقرآن والإنجيل، وصواب الأمر وسداده وأفعال الله كذلك، لأنه يتصرف بمقتضى الملك فيفعل ما يشاء(٨) والإبداع يناسب الحكمة(٩)

تعريف وجوه الحكمة: ويمكن للباحث تعريف وجوه الحكمة "كمركب إضافي": ما بدا لعلماء القرآن من مقاصد تنزيل الله تعالى للقرآن مفرقا، ومن أسرار تلاوته بتبيين وتوال وتتابع.

وه ناك حكم كثيرة معتبرة لنزول القرآن منجما، وقراءته مرتلا، ومبينا، ومتواليا ومتتابعا وفق الحاجات المعاصرة، مما يجعل القرآن معجزة تتخطى حدود الزمان والمكان بما فيها من الشمول والامتداد كونها الرسالة الخاتمة، كما يستدعي التعريف باستعمالات القرآن للفظ الترتيل.

المطلب الثاني: التعريف بالترتيل واستعمالاته وفق معانيه في القرآن الكريم.

أولا: الترتيل: يأتي الترتيل في اللغة بمعنى حُسْن تَناسُق الشيء ..وتحسين الكلام مع تؤدة وتمهل وترسل وتمكث بما يكفل الإبانة للحروف والحركات من غير بغي، وهو ترتيل القراءة، ورَتَّلَ الكلامَ: أَحسن تأْليفه وأَبانَه وتَمَهَّلَ فيه. . تشبيهاً بالثغر المرَتَّلِ . .. والرَّتَلُ والرَّتَلُ : الطيِّب من كل شيء(١٠) وهو حسن تناسق الشيء، وانتظامه على استقامة(١١) وضد الترتيل: الرُّتَّة: العَجَلة في الكلام(١٢).

(١) لسان العرب: ابن منظور مادة "وجه" (١٣/ ٥٥٦).

(٢) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ص: ٨٥٥).

(٣) السابق: ص٨٥٦.

(٤) العين: الخليل الفراهيدي (٣/ ٦٦) والكليات: الكفوي (ص: ٣٨٢).

(٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار: أبو الفضل اليحصبي (١/ ١٩٤).

(٦) المغرب في ترتيب المعرب: المطرزي (ص: ١٢٥).

(٧) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: زكريا الأنصاري (ص: ٧٣).

(٨) الكليات: أبو البقاء الكوفي (ص:٢٩).

(٩) السابق: (ص: ٢٩).

(١٠) لسان العرب: مادة "رتل" (٢٦٥/١١)

(١١) تاج العروس: المرتضى الزبيدي (٣٢/٢٩)

(١٢) معجم مقاييس اللغة ابن فارس (٣١٥/٢)

وفي الاصطلاح: اتساق الشيء وانتظامه على استقامة .. والترتيل: إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة(١٣).

وعرفه على ابن أبي طالب رضي الله عنه بأنه تجويد الحروف ومعرفة الوقوف(١٤).

وعرفه البعض: أن يُبيّنَ القارئ القرآنَ، ويتبعَ بعضَه بَعْضاً في تُؤَدَةٍ؛ بحيثُ يكونُ مُصَحّحاً للحروفِ، مُقيماً لَها بإخراجها من مَخارِجِها(١٥) (وأَقَله تَرْكُ الْعَجَلَةِ فِي الْقُرْآنِ عَنْ الْإِبَانَةِ)(١٦).

ويستنتج أن ترتيل القراءة هو التمهل والتثبت والترسل والتمكث بغرض الإبانة، وأن ترتيل الكلام حسن تأليفه وتناسقه وتواليه وتتابعه وانتظامه على استقامة وتناسق بين مبانيه ومعانيه.

ثانيًا: استعمالات القرآن للفظ الترتيل ومعانيه:

. الترتيل بمعنى التفريق الزمني في النزول "التنجيم": وقد جاء هذا الاستعمال في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣٢] أي: فرقناه تفريقا آية بعد آية(١٧)ووقفة عقيب وقفة(١٨)فهو مفرّق في الزمان(١٩) وسواء كان التفريق "آية وآيتين وآيات، جوابا لهم، أو ردا عن النبي ﷺ فيما يتكلم به المشركون؛ في نحو من عشرين سنة(٢٠)" فإذا كمُل إنزال سورة جاءت آياتها مرتبة متناسبة كأنها أُنزلت جملة واحدة(٢١)وقال الشعراوي في معنى {فَرَقْنَاهُ} أي: فصّلناه، أو أنزلناه مُفرّقاً مُنجّماً حَسْب الأحداث(٢٢).

الترتيل بمعنى التوالي والتتابع : وفي ذلك قال ابن عطية :(والترتيل التفريق بين الشيء المتتابع(٢٣) أو أنه: التتابع والتوالي وفق حكمة الله وعلمه بحاجات تلك القلوب واستعدادها للتلقي(٢٤) ويمكن أخذ هذه الدلالة من قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦] (أي أنزلناه شيئا بعد الشيء)(٢٥) فتنزل مجموعة الآيات لتعالج قصة، أو حدثا معينا، ويكون ترتيلها في عدم التفريق بينها في قراءتها، ويكون ذلك نوع من أنواع الترتيل.

---

(١٣) المفردات في غريب القرآن: الراغب ص١٨٧.

(١٤) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن (٢٨٢/١).

(١٥) تيسير البيان لآيات الأحكام (٢٩١/٤)

(١٦) أحكام القرآن للشافعي – جمع البيهقي (٦٤/١) بتصرف يسير.

(١٧) تفسير البغوي في رواية عن قتادة السدوسي (٤٤٥/٣) معاني القرآن وإعرابه : الزجاج (٦٦/٤).

(١٨) الزمخشري: الكشاف (٣/ ٢٧٨).

(١٩) فتح الرحمن في تفسير القرآن: العليمي المقدسي (٢٣/٥) وبحر العلوم :السمرقندي (٢/ ٥٣٧).

(٢٠) الطبري: جامع البيان (١٩/ ٢٦٦) بتصرف.

(٢١) التحرير والتنوير: ابن عاشور(٢٠/١٩) ومعاني القرآن : الفراء (١٣٣/٢) وجامع البيان: الطبري (٥٧٤/١٧).

(٢٢) تفسير الشعراوي (ص: ٥٣٣٩).

(٢٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٠٩، ٢٠١٠) بتصرف.

(٢٤) في ظلال القرآن (٢٥٦٣/٥).

(٢٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٩١/٣).

ولا فرق في نظري بين التفريق الزمني في النزول، والتوالي والتتابع، فهو نزل من السماء الدنيا متتاليا كل رتل منه في زمن، حسب اقتضاء النزول على امتداد زمن الرسالة، والآيات ذات الغرض الواحد تنزل متتابعات كالآيات العشر في حديث الإفك، والعشر الآيات المنزلة آخر آل عمران، وغيرها، وإدراك هذا التوالي والتتابع، يحمل القارئ المتقن على تلاوة الآيات المتتابعة المتوالية في النزول بتوال وتتابع من غير تفريق بينها، حتى لكأن هذه الآيات المتتاليات تحمل في طياتها مددا مكتملا لا يتحقق نفعه إلا باكتمال تلاوتها واتساق مبانيها مع معانيها.

وبناء على ما سبق فإن الترتيل في آية الفرقان جاء بمعنى التفريق في زمن النزول حسب الأحداث، وجوابا للأسئلة، والرد على الشبهات، وهو الراجح الذي يقتضيه سياق الآيات (فإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما؛ إلا بدليل يجب التسليم له)[٢٦] وهذا المعنى يسميه علماء القرآن "التنجيم" أي أن القرآن نزل منجما.

ويستنتج أن الترتيل في الاستعمال القرآني جاء بمعان منها التفرق في زمن النزول، ومنها التبيين، ومنها التوالي والتتابع مع الإحكام والتفصيل.

ولا تضاد بين التفريق الزمني، والتتابع والتوالي، فتنزل آيات متواليات متتابعات يطلق عليها رتل، وبين الرتل والآخر من الآيات فارق زمني حسب اقتضاء حكمة النزول، وزمنه وسببه، وغايته في إحداث تغيير، أو مواجهة شدة، أو تقوية قلب، أو بيان حكم، أو بشارة بنصر، أو أخذ عبرة، أو فضح مكر، أو توجيه موعظة، أو غير ذلك مما تقتضيه وحدة الموضوع الذي نزلت بشأنه الآيات.

الترتيل بمعنى التبيين: ويؤخذ هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] أي بينه تبيينا، وذلك بالترسل[٢٧]والتلبث في قراءته[٢٨]ويكون في معناه التؤدة[٢٩] والتمهل[٣٠] أو التثبت[٣١] والتمكث المضاد للعجلة[٣٢] ومن ذلك الأمر بقراته في قوله تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء: ١٠٦] ونهيه تعالى لحبيبه ﷺ عن العجلة به بقوله عز وجل: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة: ١٦، ١٧].

ومعنى الترتيل هنا التبيين وذلك بالترسل والتمهل أو التمكث والتؤدة والتثبت المضاد للعجلة التي يفوت معها فهم القرآن وبيان معانيه على القارئ والسامع.

---

(٢٦) انظر قواعد الترجيح د. حسين الحربي (١/١٢٥).

(٢٧) الفراء : معاني القرآن (٣/١٩٧) بتصرف وانظر معالم التنزيل: البغوي (٦/٨٣).

(٢٨) النحاس: إعراب القرآن (٥/٥٦).

(٢٩) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/٢٥٥) وانظر إرشاد العقل السليم: أبو السعود (٩/٥٠).

(٣٠) مجالس التذكير: ابن باديس .. ص١٧٨.

(٣١) معالم التنزيل (٦/٨٣) وانظر: الشعراوي : التفسير ص(٦٤٣١) فتح القدير (٥/٤٤٣) واللباب: ابن عادل (١٩/٤٥٩).

(٣٢) الزمخشري: الكشاف (٣ /٢٨٤) وانظر ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير (٦ /٨٨) .

المبحث الثاني: من وجوه الحكمة في ترتيل القرآن وفق معانيه المعتبرة والحاجة المعاصرة

المطلب الأول: من وجوه الحكمة في الترتيل "بمعنى التفريق أو "التنجيم"

لا شك أن لنزول القرآن منجما حكم وأسرار، ومن ذلك نزوله مفرقا حسب مقتضيات نزوله وفقا للحكمة الإلهية المطلقة، في تدبير شؤون أنبيائه وأوليائه، وعباده، ولهذا نشرع ههنا في لحظ بعضها، ومنها:

. تثبيت فؤاد النبي ﷺ: وتتناسب هذه الحكمة مع ورود لفظ الترتيل في القرآن بمعنى التفريق الزمني في النزول أو " التنجيم" ويدل عليها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [٣٢:الفرقان] إذ جاء ت هذه الحكمة ردا على الكافرين لاستنكارهم نزول القرآن مفرقا وعدم نزوله جملة، كما هو ظاهر الآية، ولا يعدل عن الظاهر إلا بدليل، وقد جاء(إيرادُهم بعُنوانِ الكفرِ لذمِّهم به، والإشعارِ بعلَّةِ الحُكمِ [٣٣] والتثبيت في اللغة من ثبت: وهي دوام الشيء[٣٤] وإقامته ورسوخه دون اضطراب، وتثبيته ﷺ هنا "تسكينه وتقويته"[٣٥] بالحجج القوية[٣٦] بسرور يملأ قلبه، وغبطة تشرح صدره ﷺ وكلاهما يتجدد بتعهد مولاه إياه في كل نوبة من نوبات هذا النزول[٣٧].

وقال ابن عطية: وأراد الله تعالى أن ينزل القرآن في النوازل والحوادث التي قدرها وقدر نزوله فيها لتثبيت فؤاد النبي ﷺ وحفظه[٣٨] فكلما نزل نجم من نجوم القرآن (يزداد به عنادهم ظهوراً، وتزداد حجة النبي ﷺ وصدقه وضوحاً؛ فيزداد بذلك سكون قلبه وطمأنينته، بظهور أمره على عدوه، وعلو كلمة الحق على كلمة الباطل.. والحجج المتتالية، تزيد في سكون القلب واطمئنانه، وإن كان معقودا من أول أمره على اليقين)[٣٩] وقد قيل لبعض العلماء فيم لذتك ؟ قال: في حجة تتبختر اتضاحا، وفي شبهة تتضاءل افتضاحا[٤٠].

ويزداد هذا اليقين بما يأتي به القرآن من ألوان "العلم والعرفان، مما يرجع إلى العقائد أو الأخلاق أو الأحكام أو التذكير بالأمم الماضية وأخبار الرسل المتقدمين، أو باليوم الآخر أو بسنة الله في المكذبين، إلى غير ذلك من علوم القرآن؛ فيقوى قلبه ﷺ عند نزول كل نجم بما يكتسبه ﷺ منه من معرفة وعلم[٤١].

---

(٣٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/٢١٥).

(٣٤) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (١/ ٣٩٩)

(٣٥) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٧٨)

(٣٦) المفردات ص٧٨.

(٣٧) مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني (١/٥٣) بتصرف ،وانظر محاضرات في علوم القرآن محمد غانم قدوري الحمد ص ٣٣ بتصرف.

(٣٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٠٩، ٢٠١٠) بتصرف.

(٣٩) مجالس التذكير ص ١٧٨. بتصرف يسير.

(٤٠) الكشاف: الزمخشري (١/٣٧).

(٤١) مجالس التذكير ص١٧٨.

وكلما نزل نجم من القرآن "تقوى قلبه ﷺ على تحمل أعباء الرسالة ومشاق التبليغ ..ولما كان البلاء والعناء في سبيل التبليغ متكرراً متجدداً؛ كان ﷺ محتاجاً إلى تجديد تقوية قلبه، وكان ذلك مقتضياً لتفريق نزول الآية عليه ﷺ[٤٢] لتثبيته في مواجهة كل بلية أو نازلة أو حدث.

ويأتيه التثبيت بما يقصه القرآن عليه ﷺ من أنباء و قصص الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠] ومن ذلك أن قص القرآن عليه مالقيه الرسل عليهم السلام قبله من التكذيب في عدد من الآيات، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]" والآية تسلية للرسول ﷺ بعد تسلية، وإرشاد له إلى سنته تعالى في الرسل والأمم.. وقد ثبت بالتجارب أن التأسي يهون المصاب ويفيد شيئا من السلوة...ولولا أن دفع الأسى بالأسى من مقتضى الطبع البشري لما ظهرت حكمة تكرار التسلية بأمثال هذه الآية، فإن النبي ﷺ كان يتلو القرآن في الصلاة ولا سيما صلاة الليل، فربما يقرأ السورة ولا يعود إليها بعد أيام يفرغ فيها من قراءة ما نزل من سائر السور، فاحتيج إلى تكرار تسليته وأمره بالصبر المرة بعد المرة؛ لأن الحزن والأسف اللذين كانا يعرضان له ﷺ من شأنهما أن يتكررا بتكرر سببهما[٤٣].

كما يأتي التثبيت عن طريق وعد الله لرسوله ﷺ بالنصر والتأييد كما وعد سبحانه بقوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ – ١٧٣] وتارة يأتي التثبيت بحنان يغمره، ولمسة حانية، وتطمين بالرعاية والعناية كقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ١-٥].

هذه السورة بموضوعها، وتعبيرها.. لمسة من حنان، ونسمة من رحمة.. وطائف من ود.. تمسح على الآلام والمواجع، وتنسم بالروح والرضى والأمل. وتسكب البرد والطمأنينة واليقين...إنها كلها خالصة للنبي ﷺ كلها نجاء له من ربه، وتسرية وتسلية وترويح وتطمين ..كلها أنسام من الرحمة وأنداء من الود، وألطاف من القربى، وهدهدة للروح المتعب، والخاطر المقلق، والقلب الموجوع.. ففيها "فيض من الود والحب والرحمة والإيناس والقربى والأمل والرضى والطمأنينة واليقين"[٤٤] ومثل ذلك في بشريات حفظ الله له من كيد الناس ومكرهم كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[المائدة: ٦٧].

ومن صور هذا التثبيت ما كان يتنزل به القرآن "تارة بتطمينه ﷺ بهزيمة خصمه [٤٥]كقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [٤٥:القمر] وفي صورة الأمر الصريح بالصبر ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ

(٤٢) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٧٨)

(٤٣) تفسير المنار (٧/ ٣١٥).

(٤٤) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٢٥).

(٤٥) مناهل العرفان (١/ ٥٣) بتصرف وانظر: محاضرات في علوم القرآن (ص:٥٤).

الرُّسُلِ﴾[٣٥:الأحقاف] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨] ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[المزمل: ١٠].

ـ وقد يأتيه التثبيت "تارة أخرى بتهوين هذه الشدائد[٤٦] ونهيه عن الحزن على قومه ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[النحل:١٢٧] ونهيه عن التفجع عليهم .. نحو قوله تعالى ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨] وكذلك في تخويفه ﷺ عواقب حزنه من كفر أعدائه نحو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣] ومنها أن يؤيسه منهم ليستريح ويتسلى عنهم نحو قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ. إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٥.٣٦][٤٧].

وهكذا اقتضت حكمة الحكيم الخبير تثبيته ﷺ برتل من الآيات لكل حدث يحتاج معه إلى تثبيت، ولكل حال يستدعي تثبيته أو الربط على قلبه أو تأييده أو الرد على أعدائه، أو التسلية أو التخفيف عليه، أو التسكين لفؤاده. بما يقويه حتى كان ثباته أشد من الجبال، بل لو اهتز الجبل لأمره هو ﷺ بالثبات كما قال لجبل أحد حين رجف بهم: (اثبت أحد فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان)[٤٨] ومع كل هذا التثبيت بصريح الآية في القرآن؛ يتضرع ﷺ إلى مولاه (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ)[٤٩].

ـ ومن حكمة الله في إنزال القرآن على النبي ﷺ مفرقا أن "يقوى بتفريقه فؤاده على حفظه وفهمه[٥٠] فهو بذلك" أقرب إلى حفظ النبي ﷺ له ووعيه وفهمه لمعانيه، ومعرفة أحكامه وحِكَمه وذلك من أعظم أسباب التثبيت[٥١] له ﷺ، بمدد تحمله آيات متتاليات، متعلقة بقصة أو حدث أو غيرها.

ـ ومن الحكم الظاهرة في الترتيل بمعنى التفريق في زمن النزول للقرآن الكريم أن بعضه كان يتنزل جوابا على أسئلة متفرقة في الزمن، ففي سورة البقرة جاءت (يسألونك) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ٢١٥] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

(٤٦) السابق (١/٥٣، ٥٤).

(٤٧) السابق (١/٥٥).

(٤٨) صحيح البخاري ك: المناقب، باب قول النبي ﷺ .. وباب مناقب عمر ﷺ (٥/ ٩) برقم (٣٦٧٥)

(٤٩) سنن الترمذي (٥/٤٧٦).

(٥٠) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٥/٢٣).

(٥١) فتح البيان في مقاصد القرآن (٩/٣٠٦) بتصرف، وانظر معالم التنزيل (٦/٨٣) مناهل العرفان (١/٥٣).

اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة:٤].

قال الزركشي: (..وفي القرآن أجوبة عن أسئلة فهو سبب من أسباب تفرق النزول)[٥٢] وتلك أسئلة علم الله في الأزل بوقت توجيهها له ﷺ فأنزل جوابها في القرآن جملة، وأنزلها عليه منجمة عند توجيه الكافرين أو المشركين لهذه الأسئلة، ليكون جوابه ﷺ أدق وأثبت.

. ومن وجوه الحكمة في نزول القرآن مفرقا أن منه ناسخ ومنسوخ، وفيها قال الزركشي: (ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا[٥٣] (فمن محاسنه نسخ الحكم عند انتهاء المصلحة التي اقتضت تشريعه وانقضاء زمنها لحكم آخر أنسب منه للبقاء في الأزمان، كما كان في آيتي المتوفى عنها في سورة البقرة، وما كان ذلك ليأتي إلاّ بتفريق الآيات في الإنزال[٥٤].

ـ ومن وجوه الحكمة في الترتيل بمعنى التفريق الزمني –التنجيم– الرد على الشبهات، وقد أورد القرآن هذه العلة بقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣] أي "ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحق، بما نبطل به ما جاءوا به، وأحسن منه تفسيرا[٥٥] (وأفصح بيانا وتفصيلا)[٥٦] فقد كانت الوقائع تقع، والحوادث تحدث، والشبه تعرض، والاعتراضات ترد .. فكانت الآيات تنزل بما تتطلبه تلك الوقائع من بيان، وما تقتضيه تلك الحوادث من أحكام، وما تستدعيه تلك الشبه من رد، وتلك الاعتراضات من إبطال[٥٧] ولما رد تعالى اعتراضاتهم، وأبطل شبهاتهم.. أخبر تعالى بأنه لا يزال القرآن كذلك، يدمغ باطلهم بحقه فيزهقه، ويصدع غشاء تمويههم بصادق بيانه فيمزقه.

فقد جاء المشركون بكلمات في حق الله، وملائكته، وكتبه، ونبيه ﷺ ومن ذلك قولهم كما أورده القرآن الكريم: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ﴾ [الفرقان: ٢١] وقولهم في نبيه: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] وقولهم في القرآن: {أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا} [الفرقان:٥]. ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} [الفرقان: ٣٢].

فجاء القرآن بعد كلماتهم الباطلة، بكلمات الحق الدامغة مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الفرقان:٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي

(٥٢) البرهان في علوم القرآن (٢٣١/١).

(٥٣) السابق (٢٣١/١).

(٥٤) مجالس التذكير(ص: ١٨١).

(٥٥) جامع البيان (١٩/ ٢٦٦، ٢٦٧)

(٥٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٠٩، ٢١٠).

(٥٧) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٨١)

الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢].ومثل هذا الرد يدحض باطلهم، ويثبت قلب النبي ﷺ ويقويه.

. ومن وجوه الحكمة في إنزال القرآن منجما، تثبيت المؤمنين، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ . قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [١٠٢ :النحل] وجمهور المفسرين على أن التبديل في الآية بمعنى النسخ [٥٨] للآية لفظا ومعنى[٥٩] بآية أخرى، أو لرفع حكم وإثبات آخر لما فيه من مصلحة العباد؛ ويكون التثبيت في هذا للمؤمنين "بتقوية إيمانهم، ليزدادوا بتصديقهم – لناسخه ومنسوخه– إيمانا لإيمانهم[٦٠]" فإنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح؛ رسخت عقائدهم واطمأنت به قلوبهم)[٦١] إلى علم الله (والله أعلم بما ينزل) من التغليظ والتخفيف ومن الأحكام والشرائع التي هي مصالح للعباد في المعاش والمعاد[٦٢] ورب شيء يكون مصلحةً في وقت يكون مفسدةً في وقت آخر، فينسخه ويثبت مكانه ما يكون مصلحة لخلقه[٦٣].

ولو انكشف الغطاء لهؤلاء الكفرة لعرفوا أن ذلك وجه الصواب، ومنهج العدل والرفق واللطف، .. قال ابن عباس– رضي الله عنهما –: إذا نزلت آية فيها شدة، ثم نزلت آية ألين منها .. تقول كفار قريش: والله ما محمَّد إلا يسخر بأصحابه، اليوم يأمر بأمر، وغدًا ينهى عنه، وأنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[٦٤] ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي ليربط على قلوبهم، ويقوّى عزائمهم، ويثبت أقدامهم على طريق الإيمان، بما ينزل عليهم من آيات تؤنس وحشتهم، وتكشف لهم عن العاقبة المسعدة التي ينتهي إليها صراعهم، مع قوى البغي والعدوان[٦٥].

وإذا كان فؤاد النبي ﷺ يحتاج إلى تثبيت، فمن باب أولى قلوب المؤمنين بعده ﷺ، ولا غرابة أن يأتي قوله تعالى: ﴿ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود:١٢٠] وبعد الانتهاء من أحسن القصص خاطبه بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢] وقوله ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠] ثم بعد ذلك، يقرر حظ المؤمنين من القصص التي ثبّتَ بها فؤاد النبي ﴿ ﷺ لَقَدْ كَانَ

(٥٨) معالم التنزيل (٣/ ٩٦) وإرشاد العقل السليم (٥/ ١٤٠) والبحر المحيط (٦/ ٥٩٤) وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير(٤/ ٦٠٣) وحدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الهرري (١٥/ ٣٨٠).

(٥٩) البحر المحيط (٦/ ٥٩٤).

(٦٠) جامع البيان (١٧/ ٢٩٨).

(٦١) روح المعاني: الآلوسي (٧/ ٤٦٧).

(٦٢) حدائق الروح والريحان (١٥/ ٣٨٠).

(٦٣) السابق (١٥/ ٣٨٠).

(٦٤) حدائق الروح والريحان (١٥/ ٣٨١).

(٦٥) التفسير القرآني للقرآن : الخطيب (٧/ ٣٦٥)

فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١] فما ثُبِّتَ به النبي ﷺ جعل منه حظ لتثبيت المؤمنين بعده (فإذا تأملت قصة يوسف ظهر أن في غرائبها، وامتحان الله فيها لقوم في مواضع، ولطفه لقوم في مواضع، وإحسانه لقوم في مواضع، معتبرا لمن له لب وأجاد النظر، حتى يعلم أن كل أمر من عند الله وإليه)[٦٦] وهذا من الإيمان الذي يزداده المؤمنون بترتيل الآيات وتدبرها، فيزيدهم ثباتا في كل عصر، غير مقتصر على الصحابة رضي الله عنهم في زمن النزول.

ويشعر المؤمن المتدبر للآيات بهذا التثبيت في حياته المعاصرة؛ حين يرى شبهات يفرزها المرجفون في زمنه، هي من جنس الشبهات الأولى؛ تتضاءل وتدمغ بحجج القرآن.

بل إن المؤمن في هذه الأزمان يجد ألوانا من تثبت المؤمنين في الماضي أمام المكائد والنكبات والمصائب، والنوازل والأحداث، والمؤامرات، ومن ذلك تثبيتهم أمام ما يكاد يزلزل قلوبهم من البلاء في الماضي، ليأخذ منه المؤمنون زادا في الحاضر، وعند كل إخفاق ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ويوقفهم مرة على أمر الرسالة لا على شخص النبي المرسل عليه صلوات الله وسلامه، لينفخ فيهم روح البسالة ويميت روح الإشاعة كإشاعة مقتل النبي ﷺ يوم أحد: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤] ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ . وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٦، ١٤٧] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] "والزلزلة شدة التحريك[٦٧] وكل هذه التثبيتات القرآنية يحتاجها المؤمنون اليوم، ولو بعدوا عن زمن النزول.

ذلك أن البلايا والرزايا تتشابه بين الأمس واليوم؛ وحظ كل مؤمن من تثبيت القرآن بقدر إيمانه، فكلما ألمت ملمة، أو ادلهمت الخطوب، أو تكالب الأعداء أو اشتدت الكروب؛ وجد المؤمنون في القرآن ما يثبت أفئدتهم، ويطمئنهم بصدق الاتباع، وجادة طريق الأنبياء والرسل عليهم السلام، وتتنزل عليهم السكينة ليزدادوا إيمانا وثباتا كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤] في مواجهة الطغيان، والثقة بوعد الله بالنصر والتمكين.

. ومن وجوه الحكمة، في التفريق الزمني لنزول القرآن "أنه نزل بالتدريج المناسب، كتحريم الخمر، والربا، .. وما كان ليكون هذا التدريج بغير تفريق الآيات في التنزيل[٦٨] مما يشي بعظمة هذا التشريع القرآني من جهة إنقاذ الأمة من

(٦٦) المحرر الوجيز: ابن عطية (٢٨٩/٢)

(٦٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٨٧/١).

(٦٨) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٨١).

الضلال، ويعلم المؤمنين في العصر الحاضر الأخذ بسنة التدرج في مجتمعات الدعوة، وتلك حاجة ملحة للمسلم المعاصر تؤخذ من ترتيل الآيات النازلة بهذا الخصوص مجتمعة.

- ومن وجوه الحكمة في نزول القرآن متفرقا؛ تفرق أسباب النزول، مما يقتضي (بيان الواقعة عند وقوعها، وذكر حكم الحادثة عند حدوثها، لما فيه من تأثير في النفوس، ووقع في القلوب، ورسوخ في العقول، وجلاء في البيان، وبلاغة في التطبيق، واستيلاء على السامعين. وما كان هذا كله ليأتي لولا تفريق الآيات في التنزيل وترتيلها وتنضيدها هذا الترتيل العجيب، وهذا التنضيد الغريب، الذي بلغ الغاية في الحسن والمنفعة) [٦٩] والمؤمنون في حياتهم المعاصرة بحاجة ماسة إلى إعمال النصوص النازلة بسبب معين، فيما يعمه اللفظ غير مقيد بالأسباب التي نزلت الآيات بشأنها، ذلك أن(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[٧٠].

ويؤكد ابن باديس تفعيل هذه الحكمة في حياتنا المعاصرة بقوله: (علينا أن نقرأ القرآن ونتفهمه، حتى تكون آياته على طرف ألسنتنا، ومعانيه نصب أعيننا، لنطبق آياته على أحوالنا، وننزلها عليها كما كانت تنزل على الأحوال والوقائع؛ فإذا حدث مرض قلبي أو اجتماعي طلبنا دواءه في القرآن وطبقناه عليه؛ وإذا عرضت شبهة أو ورد اعتراض، طلبنا فيه الرد والإبطال، وإذا نزلت نازلة طلبنا فيه حكمها، وهكذا نذهب في تطبيقه وتنزيله على الشؤون والأحوال إلى أقصى حد يمكننا[٧١].

ويستنتج أن من وجوه الحكمة في نزول القرآن مرتلا بمعنى التفريق أو التنجيم، تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتلقينه الحجة، وتقوية يقينه، وتسليته وإيناسه ﷺ، وتبشيره، وتهوين الشدائد عليه، ونهيه عن الحزن والأسى تفجعا على قومه، وتلقينه جواب السؤال، وأن ذلك التفريق في النزول من مقتضيات النسخ، والرد على الشبهات، والتدرج في التشريع، وتفرق أسباب النزول، كما أن فيه تقوية قلبه ﷺ على حفظ القرآن وفهمه.

وكذلك يستتبع تثبيت النبي ﷺ تثبيت المؤمنين به، وذلك بالربط على قلوبهم وتطمينهم بتحقق وعد الله لهم، وزيادة إيمانهم، وتهوين الشدائد عليهم، والأخذ بحظهم من تثبيت فؤاد نبيهم ﷺ في كل ما يجدونه من الشدائد في حياتهم المعاصرة.

المطلب الثاني: من وجوه الحكمة في الترتيل بمعنى التبيين بالتمهل والتمكث.

- تدبر القرآن، واستقامة الفهم: فبتمهل المؤمن وتمكثه في قراءة القرآن، يستقيم فهمه، ويستعين على تدبر آياته، ببيان معانيه، وكأن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] (اقرأه في قيامك بالليل على مهل، وتبيّن حروفه، فإنّ ذلك يكون عونا لك ولمن يسمع منك على فهمه وتدبر معانيه)[٧٢] قال السيوطي: (والترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط)[٧٣] فمن قرأ بتمهل وتمكث وجودة أداء، أُعين على الفهم وتدبر الآيات والتفكر فيها، والتأثر بها، وحسن الاستنباط منها، وما يستتبع ذلك من التأثر وتحريك القلوب وخشوعها.

---

(٦٩) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٨١) بتصرف يسير.

(٧٠) انظر قواعد الترجيح : الحربي (٢/٥٤٥).

(٧١) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٨٢).

(٧٢) تفسير آيات الأحكام: السايس (ص: ٨١١).

(٧٣) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (١/ ٣٤٦).

وقد نقل أن الْحَسَنَ، قَرَأَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[فصلت: ٤٠] قَالَ: "سَمِعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا يَقْرَؤُهَا، يُعِيدُهَا وَيُبْدِيهَا، فَقَالَ: أَوَ مَا سَمِعْتُمُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] هَذَا التَّرْتِيلُ[٧٤] أي صورة عملية للترتيل الي يتحقق به بيان المعنى بالتدبر والتمكث، وما يثمر من أثر على خشوع القلب، وسكون الجوارح.

وفي هذا المعنى يقول المراغي: (الحكمة من الترتيل التمكن من التأمل في حقائق الآيات ودقائقها، فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف ويستنير القلب بنور الله- وبعكس هذا فإن الإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني، والنفس تبتهج بذكر الأمور الروحية، ومن سرّ بشيئ أحب ذكره، كما أن من أحب شيئا لا يحب أن يمر عليه مسرعا)[٧٥].

ـ من وجوه الحكمة في ترتيل القرآن بمعنى البيان والتبيين؛ إظهار الإعجاز القرآني بنظمه "وذلك بانضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية البلاغية.[٧٦].

يقول الجرجاني وهو صاحب هذه النظرية:(وجملةُ الأمْرِ أنَّا لا نُوجِبُ "الفصاحَة" لِلْفَظةٍ مقطوعةٍ مرفوعةٍ من الكلامِ الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولةً بغيرها، ومعلَّقاً معناها بمعنى ما يَليها. فإذا قلنا في لفظةِ "اشتعل" مِنْ قولِه تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] إنها في أعلى رتبة من الفصاحة، لم توجب تلك "الفصاحةَ" لها وحَدْها، ولكِنْ موصولاً بها "الرأسُ" معرَّفاً بالألف واللام، ومَقْروناً إليهما "الشيبُ" منكَّراً منصوباً)[٧٧].

ويؤكد السجاوندي هذه النظرية في إعجاز القرآن بوصفه بأنه :(معجز برصفه العجيب ونظمه الغريب .. فإذا اجتمع وانتظم انحاز عن غيره وامتاز، وظهر فيه الإعجاز[٧٨] لذلك فإن "ترتيل آي القرآن وتنضيدها هذا الترتيل العجيب، وهذا التنضيد الغريب، الذي بلغ الغاية من الحسن والمنفعة.. يعد وحده وجهاً من وجوه الإعجاز[٧٩].

ويقول الرازي في: (من تأمل في لطائف نظم السورة وبدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه؛ فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته وأسلوبه[٨٠] إذ بذلك يتحقق البيان والتبيين لمعاني القرآن.

ـ ومن وجوه الحكمة في الترتيل بمعنى التبيين تيسير حفظ القرآن وفهمه، وبذلك (يرسخ حفظه ويتلقاه السامعون فيعلَقُ بحوافظهم، ويتدبر قارئه وسامعه معانيَه كي لا يسبق لفظُ اللسان عملَ الفهم)[٨١]" وبذلك تيسَّر للصحابة حفظ القرآن والعمل به[٨٢].

---

(٧٤) الزهد والرقائق: لابن المبارك (١/ ٤٢٢).

(٧٥) تفسير المراغي (١١٢/٢٩).

(٧٦) فتح البيان في مقاصد القرآن (٩/ ٣٠٥، ٣٠٦) بتصرف.

(٧٧) دلائل الإعجاز: الجرجاني (١/ ٤٠٢، ٤٠٣).

(٧٨) علل الوقوف: السجاوندي ص١٣، ولطائف الإشارات: القشيري (٢٥٠/١)

(٧٩) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٨١) بتصرف.

(٨٠) مفاتيح الغيب: الرازي (١١٢/٧) بتصرف بسيط .

(٨١) التحرير والتنوير (٢٦٠/٢٩)

(٨٢) تفسير الشعراوي (ص: ٥٣٣٩) بتصرف بسيط.

- يهيء الترتيل ببيان المعاني للقارئ الوقف موضع الوقف والابتداء موضع الابتداء .. فإنه أعون شيء عليه[٨٣] ذلك أن الوقف يبنى على اتضاح المعاني، ولا يتأتى ذلك إلا بالترتيل[٨٤] وفهم وجوه الخطاب، والتفاعل معه وهذا ما نحتاجه في حياتنا المعاصرة.

- يعين الترتيل بمعنى التبيين على اجتناب تكرير اللفظة الواحدة في القرآن تكريرا من غير فصل[٨٥] كما في قوله تعالى:﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾ [٥-٦:الطارق] وقوله عز وجل: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ [١٠٨:التوبة] فلا بد من الفصل بين الكلمتين بالوقف على الأولى ليفهم المعنى.

وبناء على ما سبق، فإن على المسلم المعاصر أن يتعلم من هذه الحكمة في ترتيل القرآن ببيان وتبيين معانيه، ويعلم أن "حاجته إلى تجديد تلاوة القرآن وتدبره، أكيدة جداً لدفع خطرات الوسواس والأوهام والشكوك، وللربط باليقين، ولدفع ران المعصية التي تظلم منها القلوب وتقسو، حتى تحجب عنها الحقائق، وتطمس أمامها سبل العرفان، فالمتفقهون في القرآن، قلوبهم نيرة، مستعدة لتلقي العلوم والمعارف، وسماع الحق وقبوله، لها من نور القرآن فرقان تفرق به بين الحق والباطل، وتميز به بين الهدى والضلال، أضف إلى ذلك أن قلوبنا معرضة للضعف عن القيام بأعباء التكليف، وما نحن مطالبون به من الأعمال، والذي يجدد لنا فيها القوة، ويبعث فيها الهمة، هو القرآن العظيم. وهكذا فإن حاجتنا للقرآن أكيدة لتقوية قلوبنا باليقين، وبالعلم، وبالهمة، والنشاط، للقيام بالعمل"[٨٦].

ويستنتج هنا أن للترتيل بمعنى التبيين وجوها من الحكمة تتمثل في التدبر والتفكر والاستنباط، والتأثر والخشوع، وإظهار الإعجاز، واجتناب تكرار اللفظة، ومعرفة الفصل والوصل.

كما يستنتج حاجة المسلم المعاصر للترتيل بمعنى التبيين لدفع الوسواس وإزالة ران المعصية الذي يحجب رؤية الحق، ولتقوية القلوب وربطها باليقين، والعلم والعمل.

المطلب الثالث: من وجوه الحكمة في الترتيل بمعنى التوالي والتتابع.

وقد يأتي الترتيل بمعنى التوالي والتتابع، وبمعنى ما قاله مجاهد: (بعضه إثر بعض)[٨٧] إذ لا يكتمل بيان المعاني إلا بتتابع الآيات وتواليها، وذلك لكونها نزلت في شأن لا يكاد القارئ المتدبر ينفك عن قراءتها بتوال وتتابع، إذ تسلمه كل آية إلى أختها، فلا ينتهي من قراءتها حتى يكتمل رتلها، فيصل إلى مقصد الترتيل المنشود، وتأثيره

(٨٣) البرهان في علوم القرآن (٣٦٨/١) والإتقان (٢٢١/١. ٢٢٢)

(٨٤) انظر للباحث: ترتيل القرآن وعلاقته بالقراءة المفسرة دراسة لأثر الترتيل في التفسير بحث منشور في مجلة العلوم الاسلامية العدد الثاني . المجلد الخامس . المركز القومي . غزة فلسطين. مارس٢٠٢٢م.

(٨٥) البرهان في علوم القرآن ج١، ص٣٦٨.

(٨٦) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٧٩. ١٨٠) بتصرف.

(٨٧) انظر أحكام القرآن: ابن العربي (٣٢٧/٤).

المقصود، لدى القارئ والسامع. وللتدليل على هذه الحكمة حسبك حديث جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ إذ يقول: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع ... فنزل النبي ﷺ منزلاً فقال: من رجل يكلؤنا؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فقال: كونا بفم الشعب، قال: فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب اضطجع المهاجري وقام الأنصاري يصلي، وأتى الرجل ـ العدو ـ فلما رأى شخصه عرف أنه ربيئة[٨٨] للقوم، فرماه بسهم فوضعه فيه، فنزعه حتى رماه بثلاثة أسهم، ثم ركع وسجد، ثم انتبه صاحبه، فلما عرف أنهم قد نذروا به هرب، ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدم قال: سبحان الله! ألا أنبهتني أول ما رمَى؟! قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها)[٨٩] وذلك لاشتغاله بحلاوتها عن مرارة ألم الجرح[٩٠] فقد غلب ارتباط الآيات وتواليها وتتابعها آلام الجراح النازفة.

ومثل هذا الإدراك لتتابع الآيات وتواليها ما جاء في حديث جبير بن مطعم إذ يقول: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ .أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥ – ٣٧]" قال: كاد قلبي أن يطير[٩١] وذلك لتوالي وتتابع الاستفهامات التي تطارد الشرك والمشركين، فلا تثبت لهم حجة، وتزيد المؤمنين إيمانا ويقينا وخضوعا وحبا لله رب العالمين.

وعلى المسلم في الحياة المعاصرة الاستفادة من أسلوب القرآن في متابعة الحجج، وتواليها، والتقرير بها، من خلال قراءة الآيات المشتملة على نوع من الحجج مرة واحدة، ليتجلى المعنى، ويفهم القارئ والسامع ما أريد بنزول القرآن، وما ينبغي ان يتبعه من التأثر والعمل.

ويستنتج أن من معاني الترتيل التوالي والتتابع، وأن من وجوه الحكمة قراءة الآيات النازلة في شأن ما بتوال وتتابع؛ إذ المعنى لا يتم ولا يتبين إلا باكتمال تلاوتها، وامتناع تجزئتها.

خاتمة:

تم بحمد الله هذا البحث (من وجوه الحكمة في الترتيل بمعانيه المعتبرة، والحاجة المعاصرة).

ونضمنه هنا أهم النتائج والتوصيات:

أولا: أهم النتائج:

- يستنتج أن المقصود بوجوه الحكمة في الترتيل: ما بدا لعلماء القرآن من مقاصد تنزيل الله تعالى للقرآن وفق معاني الترتيل المعتبرة في آياته.
- يستنتج أن من وجوه الحكمة في نزول القرآن مرتلا بمعنى التفريق أو التنجيم، تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتلقينه الحجة، وتقوية يقينه، وتسليته وإيناسه ﷺ، وتبشيره، وتهوين الشدائد عليه، ونهيه عن الحزن والأسى تفجعا على

(٨٨) الربيئة: هو الذي يشرف من مكان عالٍ أو يرصد باباً أو طريقاً بين جبلين. انظر عون المعبود (٢٣٠/١).

(٨٩) سنن أبي داوود ك: الطهارة ، باب الوضوء من الدم (٧٧/١).

(٩٠) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٣٠/١).

(٩١) صحيح البخاري ك: تفسير القرآن، باب ، قوله وسبح بحمد ربك (١٤٠/٦) برقم (٤٨٥٤)

قومه، وتلقينه جواب السؤال، وأن ذلك من مقتضيات النسخ، والرد على الشبهات، والتدرج في التشريع، وتفرق أسباب النزول، وكذا تقوية قلبه على حفظ القرآن وفهمه ﷺ.

- يستنتج أن تثبيت النبي ﷺ يستتبع تثبيت المؤمنين به، وذلك بالربط على قلوبهم وتطمينهم بتحقق وعد الله لهم، وزيادة إيمانهم، وتهوين الشدائد عليهم، والأخذ بحظهم من تثبيت فؤاد نبيهم ﷺ في كل ما يجدونه من الشدائد في حياتهم المعاصرة.
- يستنتج هنا أن للترتيل بمعنى التبيين وجوها من الحكمة تتمثل في التدبر والتفكر والاستنباط، والتأثر والخشوع، وإظهار الإعجاز، واجتناب تكرار اللفظة، ومعرفة الفصل والوصل.
- يستنتج أن حاجة المسلم المعاصر للترتيل بمعنى التبيين، تكون ملحة لدفع الوسواس وإزالة ران المعصية الذي يحجب رؤية الحق، ولتقوية القلوب وربطها باليقين، والعلم والعمل.
- يستنتج أن من معاني الترتيل التوالي والتتابع، وأن من وجوه الحكمة قراءة الآيات النازلة في شأن ما بتوال وتتابع؛ إذ المعنى لا يتم ولا يتبين إلا باكتمال تلاوتها، وامتناع تجزئتها.

المصادر والمراجع:

الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي (ت٩١١هـ١٥٠٥ م) (الهيئة المصرية العامة لكتاب د. ط ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م)

أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ) (دار الكتب العلمية، بيروت – ط الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م).

أحكام القرآن للشافعي: جمع وتأليف أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ات ٤٥٨هـ) مكتبة الخانجي– القاهرة ـ ط الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م)

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ) (دار إحياء التراث العربي – بيروت د.)

إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ ٩٥٠م) (دار الكتب العلمية ـ بيروت ط الأولى ـ ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م) تحقيق د. زهير غازي.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) دار إحياء التراث العربي– بيروت ط الأولى – ١٤١٨ هـ) تحقيق: محمد المرعشلي.

بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) (د. بلد النشر، ود. ر، د.ت)

البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) (دار الفكر – بيروت ـ ١٤٢٠ هـ د. ر) تحقيق صدقي محمد جميل.

البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ ١٣٩٢م) (دار إحياء التراث العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ ط الأولى ـ ١٣٧٦هـ– ١٩٥٧م) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

تاج العروس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني المرتضى الزبيدي ت(١٢٠٥هـ ١٧٩١م)
(دار الهداية ـ د. ط، د.ت، د. بلد النشر) تحقيق: مجموعة من المحققين
التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ ١٨٦٨م) (دار سحنون- تونس– ١٩٩٧م)
تفسير آيات الأحكام: محمد علي السايس (المكتبة العصرية للطباعة والنشر. د. ر٢٠٠٢م) تحقيق: ناجي سويدان.
تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت ١٣٥٩هـ) (دار الكتب العلمية بيروت ط ـ الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.)
تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة (دار طوق النجاة د. ط، ود. ت).
تفسير الشعراوي: محمد متولي ت ١٤١٨هـ: التفسير (مطابع أخبار اليوم د. ر، د. ت).
تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ) (الهيئة المصرية العامة للكتاب د. ط ١٩٩٠م)
تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ١٣٧٢م) (دار طيبة للنشر والتوزيع ـ ط الثانية ـ ١٤٢٠هـ ١٩٩٩ م) تحقيق سامي بن محمد سلامة.
تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ) (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ـ ط الأولى ـ ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).
تيسير البيان لأحكام القرآن: محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليمني الشافعي المشهور بـ «ابن نور الدين» الموزعي (ت ٨٢٥ هـ) (دار النوادر، سوريا ـ ط الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)
جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) (مؤسسة الرسالة- ط الأولى ـ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) تحقيق أحمد شاكر.
الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا زين الدين أبو يحيى الأنصاري (ات: ٩٢٦هـ) (دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ ط الأولى ١٤١١هـ)
دلائل الإعجاز الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (ت ٤٧١هـ) (مطبعة المدني ـ القاهرة - دار المدني بجدة ـ ط الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
روح المعاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) ت (١٢٧٠هـ ١٨٥٤م) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (دار إحياء التراث العربي ـ بيروت د. ط، د.ت).
الزهد والرقائق: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المَرْوَزي (المتوفى: ١٨١هـ) (دار الكتب العلمية ـ بيروت د. ر، د. ت) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ ١٢٠١ م) (المكتب الإسلامي – بيروت ـ ط الثالثة، ١٤٠٤هـ)
سنن أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني ت(٣١٦هـ ٩٢٩م) (دار الكتاب العربي ـ بيروت د. ط، د.ت).

صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت ٢٥٦هـ) (دار طوق النجاة . ط الأولى ١٤٢٢هـ د.ت) ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) (دار ومكتبة الهلال د. بلد النشر، ود. ط، د.ر. د. ت) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.

عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي محمد شمس الحق أبو الطيب ت (١٣١٠ هـ ١٨٩٢م) (دار الكتب العلمية، بيروت . ط الثانية ١٤١٥هـ)

علل الوقوف: أبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي (ت ٦٥٠ هـ ١١٦٥م) (مكتبة الرشد . الرياض . ط الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦ م) تحقيق د. محمد بن عبد الله بن محمد العيدي.

فتح القدير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) (دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب دمشق وبيروت . ط الأولى .١٤١٤هـ)

فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري ت (١٣٠٧هـ ١٨٨٩م) (المكتبة العصرية للطباعة والنشر . بيروت . ١٤١٢هـ ١٩٩٢م د. ط).

فتح الرحمن في تفسير القرآن: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ) (دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة . قطر ط: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م) تحقيق: نور الدين طالب.

في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ) دار الشروق – بيروت– القاهرة – ط السابعة عشرة – ١٤١٢ هـ).

قواعد الترجيح: حسي بن علي بن حسين الحربي (دار القاسم . الرياض . ط الأولى . ١٩٩٦م)

الكليات: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) (مؤسسة الرسالة . بيروت) تحقيق: عدنان درويش.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٢٨هـ ١١٣٣م): (دار إحياء التراث العربي – بيروت د. ط، د. ت) تحقيق: عبدالرزاق المهدي. . لسان العرب محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ /١٣١١م) (بيروت . دار صادر د. ط، د.ت).

لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) (الهيئة المصرية العامة للكتاب . مصر . ط الثالثة د.ت) تحقيق: إبراهيم البسيوني.

محاضرات في علوم القرآن محمد غانم قدوري الحمد (دار عمان . ط الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م).

مشارق الأنوار على صحاح الآثار: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، (ت ٥٤٤هـ) (المكتبة العتيقة ودار التراث د. بلد النشر، د. ط، د.ت).

معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت ٣١١هـ) (عالم الكتب – بيروت ط . الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي.

معجم مقاييس اللغة: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ /١٠٠٤م) تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، (ط٢) ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

المغرب في ترتيب المعرب ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطَرِّزِيّ (المتوفى: ٦١٠هـ) (دار الكتاب العربي: د. ط، د. ت).

المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٣٥هـ /٩٤٦م): دمشق، دار القلم . ط الأولى . ١٤١٢م).

مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني ت (١٣٦٧ هـ ١٩٤٨م)

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ ١١٥١م) (دار الكتب العلمية – لبنان . ط الأولى . ١٤١٣هـ ١٩٩٣م) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفراء الشافعي (ت:٥١٠هـ) (دار إحياء التراث العربي . بيروت ط الأولى ١٤٢٠هـ)

مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين المعروف بالفخر الرازي (ت٦٠٦هـ ١٢٠٧م) (دار إحياء التراث العربي . بيروت لبنان . ط الأولى . ١٤٢١هـ).